

بسم الله الرحمن الرحيم
وقفات مع قوله تعالى: {الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ}

الشيخ/ خالد بن عثمان السبتي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:
الوقفة الأولى: (١) الإلهاء: الصرف إلى اللهو، من (لهى) إذا غفل، وكل شيء شغلك عن شيء فقد ألهاك.
يقال: لهى بالشيء، أي: اشتغل به، ولهى عنه إذا انصرف عنه، وهو صرف الهم بما لا يحسن أن يُصرف به من الإعراض عن الحق، والاشتغال بالمتع العاجلة عن الدار الباقية، والميل عن الجد إلى الهزل.
وبالجمل فكل باطل شغل عن الخير و عما يعني فهو لهو.
وبهذا تعلم أن كل ما أشغل المرء عما يعنيه ويهمه فهو لهو، وعليه فهو ملازم للغفلة -وقد فسره بعضهم بها- وإن كان شائعاً في كل شاغل، وقيده بعضهم بالشاغل الذي يسر المرء، وهو قريب من اللعب.
الوقفة الثانية: قرن الله بين اللهو واللعب في آيات من كتابه كقوله: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ} [٣٢] سورة الأنعام].

وقوله: {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ} [٦٤] سورة العنكبوت].
وقوله: {إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ} [٣٦] سورة محمد].
وقوله: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ..} [٢٠] سورة الحديد].
وقوله: {وَدَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا} [٧٠] سورة الأنعام].
وقوله: {الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} [٥١] سورة الأعراف]، والعطف يقتضي المغايرة، وقد تعرض العلماء لبيان الفرق بين اللهو واللعب (٢)
فقال بعضهم:

اللهو: صرف الهم بما لا يحسن أن يُصرف به.

واللعب: طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب به.

وقيل:

اللهو: الاستمتاع بلذات الدنيا.

واللعب: العبث.

وقيل:

اللهو: الميل عن الجد إلى الهزل.

واللعب: ترك ما ينفع بما لا ينفع.

¹ - انظر: معجم مقاييس اللغة (كتاب اللام، باب اللام والهاء وما يتلها) ص ٩٣٩، المفردات للراغب (مادة: لهو) ٧٤٨، تفسير القرطبي ٤١٤/٦، الفوائد لابن القيم ص ٣٢، أنوار التنزيل ٦١٨/٢، الكليات ص ٧٧٨، ٧٩٩، روح المعاني ٢٨٦/٣٠.
² - انظر: الفروق اللغوية للعسكري ص ٢١٠، الفوائد لابن القيم ص ٣٢، الكليات ص ٧٩٩.

وقيل:

اللهو: الإعراض عن الحق.

واللعب: الإقبال على الباطل.

وقال العسكري: "الفرق بين اللهو واللعب: أنه لا لهو إلا لعب، وقد يكون لعب ليس بلهو؛ لأن اللعب يكون للتأديب... ولا يقال لذلك لهو، وإنما اللهو لعب لا يعقب نفعاً، وسُمِّي لهواً؛ لأنه يشغل عما يعني، من قولهم: ألهاني الشيء، أي: شغلني، ومنه قوله تعالى: **{أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ}** (١) سورة التكاثر]" أ.هـ. (٣)

ومن تأمل هذه الأقوال تبين له مدى التقارب بين معنى اللهو واللعب، ولعل من أحسن الفروقات بينهما ما ذكره الحافظ شمس الدين ابن القيم -رحمه الله- من أن اللهو للقلب، واللعب للجوارح، قال: "ولهذا يجمع بينهما" أ.هـ. (٤)

الوقفة الثالثة: (٥) قوله: **{أَلْهَأَكُمُ}**: أبلغ في الذم مما لو قال: "شغلكم" لعدم التلازم بين اللهو والاشتغال؛ ذلك أن الإنسان قد يشتغل بالشيء بجوارحه وقلبه غير لاه به، بينما اللهو ذهول وإعراض.

الوقفة الرابعة: (٦) اللهو عن الشيء إن كان بقصد فهو محل التكليف، وإن كان بغير قصد كقوله -صلى الله عليه وسلم- في الخميصة: **{إِنهَا أَلْهَتِي عَنْ صَلَاتِي}** (٧) كان صاحبه معذوراً، وهو نوع من النسيان.

الوقفة الخامسة: (٨) التكاثر: التباهي بالكثرة من المال والجاه والولد وغير ذلك مما سيأتي، فهو تفاعل من الكثرة.

والتفاعل يقع على أحد وجوه ثلاثة:

الأول: أن يكون بين اثنين فأكثر، فيكون من باب المفاعلة.

الثاني: أن يكون من فاعل واحد لكن على سبيل التكلف، تقول: تحاملت على كذا، وتباعدت عن كذا، وتعاميت عن الأمر وتغافلت عنه.

الثالث: أن يراد به مطلق الفعل، كما تقول: تباعدت عن الأمر أي بعدت عنه.

والتكاثر هنا يحتمل الوجهين الأولين، فيحتمل التكاثر بمعنى المفاعلة؛ لأنه تم من اثنين يقول كل واحد منهما لصاحبه: **{أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا}** (٣٤) سورة الكهف، ويحتمل تكلف الكثرة وتطلبها، فإن الحريص يتكلف جميع عمره تكثير ماله مثلاً.

الوقفة السادسة: (٩) لم يعين -سبحانه وتعالى- المتكاثر به بل ترك ذكره؛ إما لأن المذموم هو نفس التكاثر بالشيء، لا المتكاثر به، كما يقال: شغلك اللعب واللهو، ولم يذكر ما يلعب ويلهو به.

٣ - الفروق اللغوية ص ٢١٠.

٤ - الفوائد ص ٣٢.

٥ - السابق ص ٣٢.

٦ - السابق ص ٣٢.

٧ - البخاري ٥٧٥/٢، ومسلم ١٩٢/٢ من حديث عائشة رضي الله عنها.

٨ - انظر: التفسير الكبير ٧٥/٣٢، الفوائد ص ٣٢، أنوار التنزيل ٦١٨/٢.

٩ - انظر: عدة الصابرين ١٨٣-١٨٤، الفوائد ص ٣٢، فتح البيان لصديق خان ٤٣٥/١٠، تفسير السعدي ٢٦٢/٨.

وإما لإرادة العموم؛ لأن حذف المقتضى يدل عليه كما تقرر في علمي الأصول والبيان^(١٠). ولا يخفى أن العموم والإطلاق أبلغ في الذم؛ لأنه يذهب فيه الوهم كل مذهب فيدخل فيه جميع ما يحتمله المقام مما يتكاثر به المتكاثرون ويفتخر به المفتخرون من الأموال والأولاد والخدم والجاه والأعوان وغير ذلك مما يُقصد بالمكاثرة، وليس المقصود منه وجه الله كما سنبين في الوقفة السابعة. الوقفة السابعة: يدخل تحت العموم المشار إليه كل ما يكثر به العبد أو يكثر به العبد أو يكثر به غيره سوى طاعة الله.

قال ابن القيم -رحمه الله-: "التكاثر في كل شيء، فكل من شغله وألهاه التكاثر بأمر من الأمور عن الله والدار الآخرة فهو داخل في حكم هذه الآية، فمن الناس من يلهيه التكاثر بالمال، ومنهم من يلهيه التكاثر بالجاه أو بالعلم، فيجمعه تكاثراً أو تفاخراً، وهذا أسوأ حالاً عند الله ممن يكثر بالمال والجاه؛ فإنه جعل أسباب الآخرة للدنيا، وصاحب المال والجاه استعمل أسباب الدنيا لها وكاثر بأسبابها" أ.هـ^(١١).

ومعلوم أن التكاثر والتفاخر إنما يكون بالأمور التي يتوسل بها إلى تحقيق السعادة مطلقاً، سواء كانت عاجلة أم آجلة، وسنقصد الحديث في هذه الوقفة على السعادة العاجلة؛ لأنها المقصودة في التكاثر المذموم. أما المطلوبات التي يتهافت عليها المتهافتون توسلاً إلى السعادة القريبة الفانية فهي نوعان:

الأول: مطلوبات مادية من الأموال والمراكب والأثاث والرياش والدور والبساتين والغراس والخدم والأولاد وألوان الملبوسات والمطعومات، كذا التكاثر في الكتب والتصانيف على حساب التحقيق فيها، وعند ذلك مما لا يُقصد به وجه الله، فالتكاثر به مذموم، وهذا النوع ظاهر لا يخفى.

الثاني: مطلوبات معنوية، وذلك يشمل العلم الذي لا يُبتغى به وجه الله، كما يشمل ما يُلحق بالعلم مما لا ينبني عليه اعتقاد ولا عمل كالمسائل الفرضية، وتكثير الأقوال من غير حاجة، وقطع الأوقات في الوقوف عند الأمثلة والتعريفات أو ما يُعرف بالخلاف الصوري، وكذا التكثر بالمسائل وتفريقها وتوليدها، وكمن يترك المهم من التفسير ويشغل بالأقوال الشاذة، أو يترك المهم من الفقه ويشغل بنوادير الفروع وعلل النحو وغيرها، أو يتكثر بالتخرجات أو الطرق للحديث الصحيح الذي لا يحتاج إلى هذه الطرق الزائدة أو الشواهد، ومثل هذا يقال في كثرة العزو إلى الكتب المصنفة مع كون الحديث مخرجاً في الصحيحين أو أحدهما.

ومن لطيف ما ورد في هذا المعنى ما أخرجه ابن عبد البر -رحمه الله- في جامعه (١٠٣٤/٢) عن حمزة الكناني -رحمه الله- قال: "خرّجت حديثاً واحداً عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من مائتي طريق أو من نحو مائتي طريق -شك الراوي- قال: فداخني من ذلك من الفرح غير قليل، وأعجبت بذلك، قال: فرأيت ليلة من الليالي يحيى بن معين في المنام، فقلت له: يا أبا زكريا! خرّجت حديثاً واحداً عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من مائتي طريق، قال: فسكت عني ساعة ثم قال: أخشى أن يدخل هذا تحت: **{أَلِهَاتُ التَّكَاثُرِ}**".

وقد ساق الشاطبي -رحمه الله- هذه الحكاية في الموافقات (١١٤/١) وعقبها بقوله: "وهو صحيح في الاعتبار؛ لأن تخريجه من طرق يسير كافٍ في المقصود منه، فصار الزائد على ذلك فضلاً" أ.هـ.

10 - انظر: شرح الكوكب المنير ١٩٧/٣، قواعد التفسير ٥٩٧/٢.

11 - عدة الصابرين ١٧٢.

وقد ذكر ابن الجوزي -رحمه الله- أن قوماً أكثروا جمع الحديث ولم يكن مقصدهم صحيحاً ولا أرادوا معرفة الصحيح من غيره بجمع الطرق، وإنما كان مرادهم العوالي والغرائب فطافوا البلدان؛ ليقول أحدهم: لقيت فلاناً ولي من الأسانيد ما ليس لغيري، وعندني أحاديث ليست عند غيري... وهذا كله من الإخلاص بمعزل، وإنما مقصدهم الرئاسة والمباهاة، ولذلك يتبعون شاذ الحديث وغريبه "أ.هـ. [تلبس إبليس ١١٦].

ومما يدخل في هذا اللون من التكاثر المذموم: التكاثر بالجاه والشهرة والرئاسات وثناء الخلق!! قال الإمام الزهري -رحمه الله-: "ما رأينا الزهد في شيء أقل منه في الرياسة، نرى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال، فإذا نوزع الرياسة حامى عليها وعادى"^(١٢).

فكما أن المال ملك الأعيان المنتفع بها، فإن الجاه ملك القلوب المطلوب تعظيمها وطاعتها، والتصرف فيها من تحصيل المنزلة في قلوب الخلق، وهو اعتقاد القلوب نعتاً من نعوت الكمال في هذا الشخص، إما من علم أو عبادة أو نسب أو قوة أو إعانة أو حسن صورة أو غير ذلك مما يعتقدونه الناس كاملاً، فبقدر ما يعتقدون له من ذلك تدعن قلوبهم لطاعته ومدحه وخدمته وتوقيره^(١٣).

والحقيقة أن هذا اللون من المكاثرة أشد فتكاً وأعظم خطراً من المكاثرة بالأموال والأولاد مما يدخل تحت النوع الأول؛ ذلك "أن أكثر الناس إنما هلكوا لخوف مذمة الناس وحب مدحهم، فصارت حركاتهم كلها على ما يوافق رضا الناس رجاء المدح وخوفاً من الذم وذلك من المهلكات"^(١٤).

ولا يخفى أن من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق، مشغولاً بالتردد إليهم والمراءات لهم، ولا يزال في أقواله وأفعاله ملتفتاً إلى ما يعظم منزلته عندهم ويقتنص به قلوبهم!! وهذا جذر النفاق وأصل الفساد^(١٥)؛ لأنه يحمل صاحبه على تقديم رضا الخلق على رضا الرب مما يؤدي إلى رقة الدين والعياذ بالله، فتجده إن أفتى الناس مال مع أهوائهم، وإن صلى إماماً لهم تلاعب بالصلاة مجارة لأذواقهم، من إخلال بالموافقت أو في الصفة، لا سيما في التراويح والقيام، حيث ترى أعاجيب متنوعة: من مقتصر على آية واحدة بعد الفاتحة في كل ركعة، ومن محول للدعاء في القنوت إلى موعظة، ومن متكلف للبكاء*، ومن مصل بهم في كل يوم بعدد مغاير في الركعات لليوم الذي قبله -حسب الطلب- ومن متكلف في الدعاء موافقة تسعة وتسعين اسماً من الأسماء الحسنی^(١٦) وغير ذلك مما قد يُبتلى به العبد مكاثرة في المأمومين أو غير ذلك مما يدخل في عموم قوله: **{أَلِهَاتُكَ التَّكَاثُرُ}** [سورة التكاثر]، وإنما لكل امرئ ما نوى.

12 - السير ٢٦٢/٧.

13 - انظر: منهاج القاصدين ص ٢١١.

14 - ما بين الأقواس " من مختصر منهاج القاصدين ص ٢١٢.

15 - انظر: المصدر السابق ٢١١.

* كان أبو وائل رحمه الله إذا صلى في بيته نشج نشيجاً لو جعلت له الدنيا على أن يفعله وأحد يراه ما فعله.. وكان أيوب السخيتاني إذا غلبه البكاء قام.

16 - تنبيه: الرواية التي فيها سرد هذه الأسماء لا تصح والله أعلم.

قال ابن الجوزي -رحمه الله-: "ومنهم -أي العلماء وطلاب العلم- من يفرح بكثرة الأتباع، ويلبس عليه إيليس أن هذا الفرح لكثرة طلاب العلم، وإنما مراده كثرة الأصحاب واستطارة الذكر... وينكشف هذا بأنه لو انقطع بعضهم إلى غيره ممن هو أعلم منه ثقل ذلك عليه!! وما هذه صفة المخلص في التعليم"أ.هـ. (١٧)

وقد كان السلف الصالح يتوقون هذه المزالق أشد التوقي ويتحاشون الوقوع فيها، فعن سليمان بن حنظلة قال: "أتينا أبي بن كعب -رضي الله عنه- لنتحدث إليه، فلما قام قمنا ونحن نمشي خلفه، فرهقنا عمر فتبعه فضربه بالدرية!! قال: فاتقاه بذراعيه، فقال: "يا أمير المؤمنين ما نصنع؟!، قال: "أوَ ما ترى؟ فتنة للتابع مذلة للمتبوع!!" (١٨).

ولما مشوا خلف عليّ -رضي الله عنه- قال: "عني خفق نعالكم، فإنها مفسدة لقلوب نوكي الرجال" (١٩).

وخرج ابن مسعود -رضي الله عنه- من منزله فتبعه جماعة، فالتفت إليهم وقال: "علام تتبعوني؟ فوالله لو تعلمون ما أغلق عليه بأبي ما تبعني منكم رجالان"، وفي بعض الروايات: "ارجعوا فإنه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع".

وكان أبو العالية -رحمه الله- إذا جلس إليه أكثر من أربعة قام!!

وكان خالد بن معدان -رحمه الله- إذا عظمت حلقتة قام وانصرف كراهة الشهرة.

وقال شعبة: "ربما ذهبت مع أيوب -السختياني- لحاجة فلا يدعني أمشي معه، ويخرج من هاهنا وهاهنا لكي لا يفتن له" (٢٠).

وكان الإمام أحمد -رحمه الله- إذا مشى في الطريق يكره أن يتبعه أحد، وكان يقول: "أشتهي مكاناً لا يكون فيه أحد من الناس" (٢١)، وكان يقول: "طوبى لمن أحمل الله ذكره" (٢٢).

وعن الحسن -رحمه الله-: "لا تغرنك كثرة من ترى حولك، فإنك تموت وحدك، وتبعث وحدك وتحاسب وحدك".

وقال الفضيل بن عياض -رحمه الله-: "لو رأيت رجلاً اجتمع الناس حوله لقلت: هذا مجنون!! من الذي اجتمع الناس حوله لا يحب أن يجودّ كلامه لهم" (٢٣).

وقال الأعمش: "جهدنا بإبراهيم حتى نجلسه إلى سارية فأبى" (٢٤).

وكان الحارث بن قيس الجعفي يجلس إليه الرجل والرجلان فيحدثهما، فإذا كثروا قام وتركهم (٢٥).

17 - تلبس إيليس ١٣١.

18 - سنن الدارمي ١٣٢/١.

19 - سنن الدارمي ١٣٤/١.

20 - السير ٢٢/٦.

21 - السابق ٢٢٦/١١.

22 - السابق ٢٠٧/١١.

23 - السير ٣٨٣/٨.

24 - سنن الدارمي ١٣٢/١.

25 - السابق.

وكان محمد بن سيرين إذا مشى معه الرجل قام فقال: "ألك حاجة؟ فإن كانت له حاجة قضاها، وإن عاد معه قام فقال: ألك حاجة؟! (٢٦)

وقال إبراهيم النخعي: "إياكم أن توطأ أعقابكم" (٢٧).

وعن عبد الرحمن بن يزيد قال: "قلنا لعلقمة: لو صليت في المسجد وجلسنا معك فُتسأل؟!، قال: "أكره أن يُقال: هذا علقمة" (٢٨).

وقال حماد بن زيد: "كنت أمشي مع أيوب السختياني فيأخذ في طرق إني لأعجب له كيف يهتدي لها فراراً من الناس أن يقال: هذا أيوب" (٢٩).

وأخبار السلف في هذا كثيرة لا يسع المقام الاستطراد فيها بأكثر من هذا، وإنما أختم لك بهذا الخبر:

قال: عبد الرحمن بن مهدي: "كنت أجلس يوم الجمعة، فإذا كثر الناس فرحت، وإذا قلوا حزنت، فسألت بشر بن منصور، فقال: هذا مجلس سوء فلا تعد إليه، فما عدت إليه!!" (٣٠)

الوقف الثامنة: (٣١) علق الله تعالى الذم في الآية على التكاثر الملهي عن التزود للآخرة، لكن لو حصلت الكثرة من غير تكاثر لم يضر، وقد كان بعض الصحابة أهل كثرة في المال أو الولد ولم تضرهم؛ لكونها حاصلة من غير تكاثر كما لا يخفى.

الوقف التاسعة: بما مضى تبين أن الذم في الآية واقع على التكاثر في متاع الدنيا الزائل ولذاتها الفانية، أما التكاثر بأسباب السعادة الأخروية فهو مطلوب شرعاً (٣٢)، **{وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}** [٢٦] سورة المطففين، وعليه فالتكاثر من حيث تعلق الذم والحمد قسمان: محمود ومذموم.

"فالنفس الشريفة العلوية ذات الهمم العالية إنما تكاثر بما يدوم عليها نفعه، وتكمل به وتزكو وتصير مفلحة، فلا تحب أن يكثرها غيرها في ذلك، وينافسها في هذه المكاثرة، ويسابقها إليها، فهذا هو التكاثر الذي هو غاية سعادة العبد.

وضده: تكاثر أهل الدنيا بأسباب دنياهم، فهذا تكاثر مله عن الله وعن الدار الآخرة، وهو جارٌّ إلى غاية القلة، فعاقبة هذا التكاثر قلٌّ وفقرٌ وحرمان.

والتكاثر بأسباب السعادة الأخروية تكاثر لا يزال يذكر بالله وبنعمه، وعاقبته الكثرة الدائمة التي لا تزول ولا تفنى، وصاحب هذا التكاثر لا يهون عليه أن يرى غيره أفضل منه قولاً، وأحسن منه عملاً، وأغرز منه علماً، وإذا رأى غيره أكثر منه في خصلة من خصال الخير يعجز عن لحوقه فيها كآثره بخصلة أخرى، وهو قادر على المكاثرة بها.

26 - السابق.

27 - السابق.

28 - السير ٥٨/٤.

29 - السابق ٢٢/٦.

30 - السابق ١٩٦/٩.

31 - انظر: عدة الصابرين ١٩١-١٩٣.

32 - انظر: القرطبي ٤١٤/٦.

وليس هذا التكاثر مذموماً، ولا قادحاً في إخلاص العبد، بلى هو حقيقة المنافسة، واستباق الخيرات. وقد كانت هذه حال الأوس مع الخزرج -رضي الله عنهم- في تصاولهم بين يدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ومكاثرة بعضهم لبعض في أسباب مرضاته ونصره. وكذلك كانت حال عمر مع أبي بكر -رضي الله عنهما-، فلما تبين لعمر مدى سيق أبي بكر له قال: والله لا أسابقك إلى شيء أبداً^(٣٣).

فينبغي للمؤمن العاقل أن يكون سعيه في تقديم الأهم وهو ما يُقربُه من ربه -عز وجل-، أما التكاثر بما يفنى فهو تكاثر بأخس المراتب، والاشتغال به يمنع الإنسان من الاشتغال بتحصيل السعادة الأخروية التي هي سعادة الأبد، ويصرفه عن الجد في العمل، ويطفئ نور الاستعداد في نفسه وصفاء الفطرة والعقل والكمالات المعنوية الباقية.^(٣٤)

الوقفه العاشرة:^(٣٥) قوله: **{أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ}**: خبر يتضمن تقريباً وتوبيخاً وتحسراً. الوقفة الحادية عشرة: **{أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ}**: خطاب لكل من اتصف بهذا الوصف، وهم في الإلهاء والتكاثر درجات لا يحصيها إلا الله.

فإن قيل: فالمؤمنون لم يلهمم التكاثر، ولهذا لم يدخلوا في الوعيد المذكور لمن ألهاه. وجواب هذا: أن الخطاب للإنسان من حيث هو إنسان على طريقة القرآن في تناول الذم له من حيث هو إنسان، كقوله: **{وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا}** [سورة الإسراء].

{وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا} [سورة الإسراء].

{إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ} [سورة العاديات].

{وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} [سورة الأحزاب].

{إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ} [سورة الحج]، ونظائره كثيرة.

فالإنسان من حيث هو عار عن كل خير من العلم النافع، والعمل الصالح، وإنما الله سبحانه هو الذي يكمله بذلك، ويعطيه إياه، وليس له ذلك من نفسه، بل ليس له من نفسه إلا الجهل المضاد للعلم، والظلم المضاد للعدل، وكل علم وعدل وخير فيه فمن ربه، لا من نفسه.

فإلهاء التكاثر طبيعته وسجيته التي هي له من نفسه، ولا خروج له عن ذلك إلا بتزكية الله له، وجعله مريداً للآخرة، مؤثراً لها على التكاثر بالدنيا، فإن أعطاه ذلك وإلا فهو ملته بالتكاثر في الدنيا ولا بد^(٣٦).

33 - ما بين الأقواس "" من كلام ابن القيم في عدة الصابرين ١٩١-١٩٣.

34 - انظر: التفسير الكبير ٧٦/٣٢، لباب التأويل ٢٨٥/٤، محاسن التأويل ٢٤٢/١٧.

35 - انظر: المحرر الوجيز ٣٥٨/١٦.

36 - ما بين الأقواس "" من كلام ابن القيم في عدة الصابرين ١٨٣-١٩٤.